بسم الله الرحمن الرحيم

«شر التكفير والهجرة والثورة من كتب سيد قطب»

أ- نقلت جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٤٠٧ بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٤ الموافق ١٤٢٢/٩/١٩ في الحلقة الثالثة مما وُصِف بالوصية الأخيرة من مذكرات د. أيمن الظواهري القائد الثاني - أو الأول لتنظيم القاعدة: (أن سيد قطب هو الذي وضع دستور [التكفيريين الجهاديين] في كتابه الذي سماه معالم في الطريق، وأن سيد [فكره] هو مصدر الإحياء الأصولي، وأن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام يعد أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وأن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة التي وصفها بالإسلامية ضد [من سماهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي مازالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم).

وأشهد لقد صدق أيمن الظواهري في هذا الإدعاء فلم يتجاوز الحقيقة والواقع، وفيما يلي برهان ذلك من فكر سيد قطب ونقده من الفقه في الدين عامة وبخاصة من فقه واحد من العلماء المحققين المعجبين بجانب من جوانب هذا الفكر الموصوف بالأصولي:

١) يقول سيد قطب في كتابه معالم في الطريق ص ١٠١ - الطبعة ١ دار الشروق التي خصها ورثة سيد تجاوز الله عنه وعنهم بما يصفون الطبقة الشرعية:

(يدخل في إطار المجتمع الجاهلي [الكافر] تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة ... لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها).

ولا أعرف مسلماً قبل سيد قطب تجاوز الله عنا وعنه - كفّر من يعتقد بألوهيّة الله وحده ويقدّم الشعائر التعبديّة لله وحده لأنه لا يدين لله وحده بتنظيم حياته.

وتنظيم الحياة - خارج حدود الاعتقاد القلبي وأعمال الجوارح التعبديّة - يغلب عليه الإباحة ولا يتجاوز - فيما ثبت الأمر به أو النهي عنه - حدود السنّة والنوافل أو المكروهات والصغائر.

ولا يُعرَفُ التكفير بالمعاصي إلا عند الخوارج ومن نهج نهجهم، ويبرأ منه فقهاء الأمة المعتدّ بهم في الماضي والحاضر إلى أن تقوم الساعة.

٢) وتبعاً لهذا الفكر الموصوف زوراً بالإسلامي المنحرف عن الوحي والفقه فيه من أهله مجّد سيد قطب عفا الله عنا وعنه الثورة على عثمان الخليفة الراشد المهديّ رضي الله عنه ووصفها في كتابه: العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٦١ ط. دار الشروق عام ١٤١٥هـ بأنها (ثورة من روح الإسلام) ووصف الثوار عليه بأنهم (الذين أشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثماً)، وأسقط خلافة عثمان رضي الله عنه ص ١٧٢ فوصف عهده بأنه (كان فجوة بين خلافة الشيخين وبين خلافة علي) رضي الله عنهم أجمعين خلافاً لجميع فقهاء أهل السنّة والجماعة، وفي ص ١٧٥ ضرب مثلاً للتضخم الفاحش في الثروات الذي ظنّه (يحطّم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس) ومثلاً للذين (جرفهم مطامع الدنيا) برواية ساقطة عن أخباري منحرف بما تركه خمسة من المبشرين بالجنّة من المال والخيل والإماء والدور.

وخصّ معاوية وابن العاص رضي الله عنهما في كتابه (كتب وشخصيات ص ٢٤٢ ط. دار الشروق) بأوصاف (الكذب والفسق والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم) وهما من كبار الصحابة رواة الأحاديث النبويّة.

قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه: تصنيف الناس بين الظن واليقين ص ٢٦ ط. دار العاصمة: (قال أبو زرعة الرازي رحمه الله في فتح المغيث ٤/٩٤: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق والرسول حق وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة... فالقدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من رسالة البلاغ لدين الله وشرعه. ولهذا أطبق العلماء رحمهم الله على أنه من أسباب الإلحاد القدح بالعلماء).

٢) وقال سيد قطب عفا الله عنا وعنه في كتابه: في ظلال القرآن ص ١٠٥٧ ط. دار الشروق: (ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وجور الأديان وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله).

وفي ص ٢٠٢٢ جعل من الشرك الواضح الظاهر - في مقابل الشرك الخفي -: (الديونة [لغير الله] في تقليد من التقاليد كاتخاذ أعياد ومواسم بشرع الناس ولم يشرع الله والديونة في زي من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر ويكشف أو يحدد العورات التي نصت شريعة الله أن تستر). والتقليد مرض منتشر في هذه الأمة وقع فيه سيد كما وقع فيه غيره، وما كان منه معصية فلا يتجاوز الصغيرة (فيما عدى الاعتقاد والعبادة والمنصوص عليه من الكبائر والموبقات) ولا يكفر المسلم به.

وقال سيد في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٨٥ ط. دار الشروق: (ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثم قد توقف كذلك) فحكم بكفر جميع المسلمين في كل مكان ومنذ فترة

طويلة بمن فيهم (أولئك الذين يردّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع) في الظلال ص ١٠٥٧.
وفي ص ٢١٦ من كتاب: العدالة الاجتماعية في الإسلام ط. دار الشروق
بشّر الذين يكفّرون كل المسلمين وينفون وجود الإسلام بأنهم سائرون على صراط الله وهداه، وحكم على الذين (يظنّون لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأن الذين يدّعون أنهم مسلمون ويتسمّون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون) بالسّير وراء سراب كاذب تلوح فيه عمائم تحرّف الكلم عن مواضعه وترفع راية الإسلام على مساجد الضّرار).
قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه: درء الفتنة عن أهل السنّة ص ٦١ ط ٢ دار العاصمة: (لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يصير كافراً الكفر المطلق الناقل من الملّة حتى يقوم به أصل الكفر بناقضه من نواقض الإسلام، فالواجب وضع النصوص في مواضعها وتفسيرها حسب المراد منها من العلماء العاملين الراسخين ... وعلى الناصح لنفسه أن يحسّ بخطورة الأمر ودقّته وأن يقف عند حدّه).
وبعد أن أورد لهذا العالم المحقق عدداً من نصوص الكتاب والسّنّة في (التحذير الشديد والنّهي الأكيد عن سوء الظنّ بالمسلم فضلاً عن النّيل منه فكيف بتكفيره) قال شفاه الله وزاده توفيقاً: (فهذه النّصوص وغيرها فيها الوعيد الشديد لمن كفّر أحداً من المسلمين وليس هو كذلك، ولهذا - والله أعلم - لما في إطلاق الكفر بغير حق على المؤمن من الطّعن في نفس الإيمان ... ولهذه الحالة الكريمة والحصانة العظيمة للمسلمين في أعراضهم وأديانهم من أصول الاعتقاد في دين الإسلام) ص ٦٥.

٤) ونتيجة لتلك المقدمة المسرفة في تكفير المسلمين، وبعد أن وصف سيد مساجدهم فيما سبق بمساجد الضرار؛ ووصف مساجد المسلمين بمعابد الجاهلية في كتابه في ظلال القرآن ص ١٨١٦ - ط. دار الشروق فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾: (وهنا يرشدنا الله إلى اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانفصال عن المجتمع الجاهلي).

وإضافة إلى أمر عصابته المسلمة لفكره باعتزال مساجد المسلمين والصلاة معهم اعتزالاً ظاهراً حكم في الظلال ص ٢٢٢٢: (أنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار الإسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية).

وصدق سيد قطب على أتباعه - تجاوز الله عن الجميع - فكفروا وأسلموا له قيادهم، وانفصلوا عقيدياً وشعورياً عن جماعة المسلمين في بلادهم، ثم اعتزلوهم ظاهراً وتفرقوا في بلاد النصارى تحت ظلال الحكم العلماني، وفي بلاد المسلمين المنحرفين عن الاعتقاد والاتباع الصحيح وبخاصة أفغانستان طالبان حيث يتقرب إلى الله بالشرك والبدع عند مقامات ومزارات المنتمين إلى السنة في قندهار وغيرها وبما دون ذلك من أداء الواجبات - وبخاصة الحجاب - وترك المكروهات، ويتقرب إلى الله بمحاربة أوثان البوذية النائية، والشيعة في مزار شريف.

رد الله الجميع إلى الوحي والفقه فيه وأعاذهم من شطحات الفكر والهوى.